القصر الغامض

محمود سالم

القصر الغامض

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

القصر الغامض

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٦ ٢٥٨٧ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
ملخص الجزء الأول	١١
خاتم من الفضة	١٣
العصافير ... والبنادق ... وجهًا لوجه!	١٩
فجأة تأكَّد كلُّ شيء	٢٥
معركة داخل المقر	٣١
مفاجأة غير متوقَّعة	٣٧
من هو الزعيم الحقيقي؟	٤٣

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

ملخص الجزء الأول

في العدد الماضي بدأت هذه القصة تحت عنوان «الحزام الأسود»، وكان رقم «صفر» قد عِلِمَ بواسطةِ عددٍ من عُملائه في أوروبا أنَّ عصابةً جديدةً قد بدأت نشاطها، وقد استخدمت أسلوبًا جديدًا في القضاء على مَن تريد ... هو الكاراتيه.

وقد زاد الشياطين من جرعة تدريبهم على هذه الرِّياضة العنيفة، ثمَّ قاموا بعمل استعراضٍ في مدينة «برن» السويسرية؛ فلفتوا أنظار العصابة إليهم، وحاول زعيمها ضمَّهم إلى عصابته، وبدأ صراعٌ عنيف بين العصابة وبين الشياطين.

خاتم من الفضة

بينما كانت سيارة الشرطة تنطلق بالشياطين إلى قلب مدينة «برن» قالت «زبيدة»: ينبغي أن نذهب إلى مقرِّ العصابة مباشرةً، يجب ألَّا نُعطيَهم فرصةً للتصرُّف.

كانت هذه وجهة نظرٍ طيِّبةٍ، لكنها في نفس الوقت يُمكن أن تُوقعَ بالشياطين، فلقد هرب «كاسيو» نائب زعيم العصابة ... وهذا يعني أنَّ «ويب» الزعيم قد عرَفَ كلَّ شيءٍ الآن، وأنَّ الشياطين سوف يواجهون العصابة بأكملها هذه المرَّة، وأنها مسألةُ حياةٍ أو موت.

كانت السيارة تقطع هدوءَ الليل وصمته، بينما الشياطين كلٌّ منهم يفكِّر في طريقةٍ ما، وعندما اقتربت السيارة من الفيلَّا التي ينزلون فيها، قال «أحمد»: يجب أن ننزل بعيدًا قليلًا، حتى نأخذ احتياطنا، إننا لا نضمن أيَّ شيءٍ الآن، ومَن يدري! قد تكون العصابة في انتظارنا هناك.

أشار «أحمد» إلى السائق، فتوقَّف ونزل الشياطين، ثم انطلقت السيارة. كان الهواء يهبُّ بشدةٍ، حتى إنهم شعروا بالبرد، فاحتمَوْا بالمباني وهم يسيرون في هدوء.

قال «خالد»: يجب أن أعود أنا و«رشيد» إلى المقرِّ السرِّي؛ فإنهم لا يعرفون أننا قد انضممنا إليكم.

وافق الشياطين على رأي «خالد»، الذي انطلق هو و«رشيد» عائدَيْن إلى المقر، وفي نفس الوقت، استمرَّ بقيةُ الشياطين في طريقهم إلى الفيلَّا. كان الشياطين يتقدَّمون بحذرٍ؛ ففي أيِّ لحظةٍ يمكن أن يفاجئهم أحد أفراد العصابة، غير أنَّ الهدوء لم يكنْ يُنبئ عن شيءٍ. استمرَّت خطواتهم، حتى اقتربوا تمامًا من الفيلَّا، لم يكن هناك أحد، فتقدَّم «أحمد» ودفع الباب الحديدي، ثم خطا إلى داخل الحديقة، وتبعه الشياطين، وعندما أصبحوا داخل الفيلَّا، كان الظلام يُحيط بكلِّ شيءٍ.

قال «بو عمير»: يجب أن نبقى في الظلام بعض الوقت ... إننا ما زلنا لم نتأكد من شيء؟

تحرَّك الشياطين في الظلام، فاصطدمت «ريما» بأحد المقاعد؛ فانقلب مُحْدِثًا دويًّا في الصمت، اقترب كلٌّ منهم من أحد الكراسيِّ، ثم جلس عليه، وقالت «ريما»: هل سنظلُّ في الظلام؟

ردَّ «بو عمير»: بعض الوقت.

لم ينطق أحد بكلمة، وكان الصمت مُثيرًا ... ظلَّ الشياطين يجلسون في الظلام ... أخيرًا قالت «زبيدة»: إنني أشعر بالإجهاد.

بو عمير: يمكن أن تنصرفي للنوم.

ريما: وأنا أيضًا مُتْعَبة.

تحرَّكت الاثنتان إلى حيث غرف النوم، وقال «أحمد»: ينبغي أن نبقى بعض الوقت حتى نتأكَّد من أنَّ كلَّ شيءٍ على ما يُرام.

لم ينطق «بو عمير» ... كانت خطوات «زبيدة» و«ريما» البطيئة تصل إليهما، وسمعا صوت فتح الباب، ثم غلقه، وأعقبه حركة هادئة نوعًا، جعلت الاثنين يتحفَّزان، ثم عاد الهدوء من جديدٍ ... سمعا صوت نافذةٍ تُفتح، ثم شعرا بتيَّار الهواء البارد، قال «أحمد»: لا بُدَّ من إضاءة النور، يبدو أنَّ هناك شيئًا.

تحرَّك «بو عمير» في اتجاه زرِّ النور، ثم ضغط عليه، غير أنَّ الصالة الواسعة ظلَّت غارقةً في الظلام.

أخرج «بو عمير» بطاريةً صغيرة، ثم أضاءها في اتجاه الزِّر، وتحوَّل إلى «أحمد» وهو يقول: النور مقطوعٌ!

وقف «أحمد» بسرعةٍ، فسمع صوت سيارة تنطلق. جرى «أحمد» في اتجاه غرف النوم ... فتح الغرفة التي دخلتها «زبيدة» و«ريما» فوجد النافذة مفتوحةً، وضوء الشارع يُضفي على الغرفة ضوءًا شاحبًا، ولم تكونا هناك ... استدعى «أحمد» «بو عمير» الذي كان لا يزال واقفًا عند زرِّ النور.

أسرع «بو عمير» ونظر إلى الغرفة، لم يكن هناك أثرٌ لشيءٍ ... لم تحدث معركة، لم يحدث أي شيءٍ. أسرع «أحمد» إلى النافذة، ونظر منها إلى الحديقة التي كانت مُضاءةً بإضاءة أعمدة نور الشارع، ولم يكن أحد في الشُّرفة ... التفت إلى «بو عمير» وقال: لقد خطفوا الاثنتين!

بو عمير: إذن، لقد قطعوا النور من أجل هذا!

أغلق «أحمد» الشرفة، ثم عاد إلى الصالة هو و«بو عمير».

أرسل «أحمد» رسالةً عاجلةً إلى «رشيد» و«خالد» يشرح فيها ما حدث، فجاءه الرد: «مِن «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س»، لقد توقَّعنا هذا!»

قال «بو عمير»: إنَّنا لا نستطيع أن نذهب إلى المقرِّ، ربما تكون هناك عيون ترصدنا.

فكَّر «أحمد» قليلًا ثم قال: هل نذهب إلى العنوان؟

بو عمير: لا أظن ... إن المسألة تحتاج إلى بعض التفكير!

جلس الاثنان قليلًا ... أخيرًا قال «أحمد»: ينبغي أن تنام الآن ... إن المسألة ليست مخيفةً، ولست قلقًا على «ريما» أو «زبيدة» ... إنهما تُجيدان التصرُّف.

أخذ الاثنان طريقهما إلى غرف النوم، وعندما استلقى «بو عمير» على سريره، راح في النوم، بينما كان «أحمد» يُقلِّب الموقف في رأسه ... فكَّر «أحمد»: هل هما الآن في نفس العنوان؛ شارع ٩٤ رقم ١٤؟ أم أنهما سوف تختفيان إلى الأبد؟ ... بدأ الشكُّ يُساوره، حتى إنه لم يستغرق في النوم إلا بعد أنْ ظَهَرَ ضوء النهار.

عندما استيقظ كان «بو عمير» يهزُّه قائلًا: هناك رسالةٌ من الشياطين!

فتح «أحمد» عينيه بصعوبةٍ، لكن لم تمرَّ لحظةٌ حتى كان قد قفز من سريره في نشاط ...

قال «بو عمير»: إنَّ الشياطين يسألون عن تحرُّكنا القادم.

قفز «أحمد» يؤدِّي بعض التمرينات، بينما كان ذهنه يعمل في التحرُّك القادم ... أخيرًا قال: سوف نجدهما، وعندما نكون هناك سوف نتصل بالشياطين.

عندما كان «بو عمير» يرسل الرسالة إلى الشياطين، كان «أحمد» قد بدأ يرتدي ثيابه، وعندما عاد «بو عمير» إليه، أخذا طريقهما فورًا إلى الخارج، لكن لم يغادر «أحمد» حديقة الفيلَّا مباشرة، بل اتَّجه هو و«بو عمير» إلى الناحية التي تقع في شرفة غرفة نوم «ريما» و«زبيدة» ... ظلَّا يبحثان في الأرض عن آثارِ أقدامٍ، حتى توقَّفا أمام عدَّة آثارِ أقدامٍ تدور حول الفيلَّا ... ثم تتوقَّف أسفل الشرفة.

عندما جلس «أحمد» يتأمَّل آثار الأقدام، كان هناك شيءٌ لفت نظر «بو عمير» قريبًا من سور الفيلَّا فاتجه إليه، ثم انحنى يلتقطه ... كان خاتمًا فضيًّا ... ظلَّ «بو عمير» يتأمَّله لحظةً، ثم اتجه إلى «أحمد» ... أمسك «أحمد» بالخاتم يتأمَّله هو الآخر، ثم قال: إنه ليس لـ «ريما» أو لـ «زبيدة»! تأمَّله مرة أخرى، ثم ظهرت ابتسامةٌ ساخرةٌ على وجهه ...

ثم انحنى، ووضعه على الأرض. نظر «بو عمير» إليه لحظة، ثم أدرك ما يفكِّر فيه، وقال: مَن يدري! ربما تكون هناك أشياء أخرى داخل الفيلَّا!

ابتعد الاثنان قليلًا حتى أصبحا عند باب الفيلَّا، وقال «أحمد» بلغة الشياطين: ينبغي أن نستغلَّ هذا الخاتم.

عاد وأخذه، ثم وضعه في إصبعه. كان منظر الخاتم أنيقًا، فقال «أحمد»: إنه يُذكرني بـ «خان الخليلي».

خرج الاثنان سيرًا على الأقدام إلى شوارع «برن»، وبلغة الشياطين قال «أحمد»: يجب أن نستدرجهم إلينا.

بو عمير: كيف؟

أحمد: إنَّ الخاتم يُعطيهم إشارات تدلُّ على مكاننا، وبهذا يجب أن نُوقِعَ بهم.

فهم «بو عمير» ما فكَّر فيه «أحمد» الذي قال: يجب أن نرسل رسالةً إلى «ريما» و«زبيدة»، حتى نعرف الموقف جيِّدًا.

انتحيا جانبًا، وكانت الحياة قد دبَّت في شوارع «برن»، فلفت نظرَ «أحمد» مطعمٌ صغيرٌ أنيقٌ فاتجه إليه، وعندما جلس الاثنان وطلبا إفطارًا، أخرج «أحمد» جهاز إرساله الصغير، ثم أرسل رسالةً إلى «ريما» و«زبيدة»: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س»، هل الدجاج لا يزال في نفس القفص؟» ... بعد قليلٍ جاء الردُّ: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س»، الدجاج انتقل إلى قفصٍ آخر.»

كانت رسالة «أحمد» تعني: هل أنتم في نفس العنوان؛ شارع ٤٩ رقم ١٤؟ وكانت الإجابة: لقد انتقلنا إلى مكانٍ آخر.

تناولا الاثنان إفطارهما في هدوءٍ، ولم يكن أحدٌ في المطعم غيرهما، لكن فجأةً دخل رجلٌ يُثير ضَجَّة.

اتجه إليه الجرسون، وصرخ الرجل: أين الطعام؟

نظر إليه الجرسون في دهشةٍ ثم قال بابتسامةٍ: المطعم جميعه تحت أمرك يا سيدي!

جلس الرجل وهو يتحدَّث بما يُشبه الصراخ: إنني لم آكل منذ أيام ... جائع ... إنني جائعٌ جدًّا، ومعي نقودٌ كثيرة، هذه هي.

أخرج الرجل من جيبه عددًا ضخمًا من الأوراق المالية، وضعها فوق المنضدة ... ابتسم الجرسون وهو يقول: هذه لا تهمُّ يا سيدي، ما يهمُّ أن يُعجبك طعامنا.

نظر له الرجل في ابتسامةٍ وهو يقول: إنه كلامٌ طيِّبٌ ... هيَّا إذن، قَدِّمْ لي الطعام.

الجرسون: ماذا تطلب يا سيدي؟

طلب الرجل أطعمةً كثيرةً، وبينما كان يطلب، كانت عيناه تتَّجهان في بعض الأحيان إلى «أحمد» و«بو عمير» ... وبينما كان يتكلَّم، قطع كلامه مع الجرسون، ووجَّه كلامه إليهما: معذرةً أيُّها الصديقان، إنني دائمُ الشجار هكذا، وأرجو ألا يضايقكما هذا التصرُّف.

هزَّ «أحمد» رأسه علامة تدلُّ على أنهما غير متضايقَين، وأكمل الرجل كلامه إلى الجرسون، وعندما انصرف ... نظر إليهما من جديدٍ وقال: هل تسمحانِ لي أن أنضمَّ إليكما؟ ... إنني غريبٌ عن «برن».

أشار له «أحمد» أن يفعل ذلك، فقام الرجل في صخبٍ أيضًا، ثم انضمَّ إليهما قائلًا: إن الإنسان يشعر كثيرًا بالوحشة، خصوصًا إذا لم يكن لديه أصدقاء ... إنني تاجرُ جلودٍ، أشتري الجلودَ من كلِّ مكان، وقد حضرتُ إلى «برن» منذ ثلاثةِ أيام، واشتغلت كثيرًا وحقَّقت عددًا من الصفقات الطيبة، وكان لا بُدَّ أن أرتاح، هذه فرصةٌ طيبةٌ أن أتعرَّف إليكما ... إنني أملك مزرعةً رائعةً، أتمنَّى أن أدعوكما إليها.

ثم صمت لحظةً، وظهرت في عينيه الدهشة وهو ينظر إلى يد «أحمد»، ثم قال: إنه رائعٌ، رائعٌ جدًّا، ما هذا الخاتم؟ هل يمكن أن تُريَه لي؟

ابتسم «أحمد» وهو يخلع الخاتم ويقدِّمه له، أخذه الرجل وظلَّ يتأمَّله، ثم قال: إنه يُذكِّرني بالشرق، لقد زرت بعض البلدان هناك؛ ذهبت إلى «نيودلهي» و«سومطرة»، ثم نظر إليهما لحظةً وهو يقول: وزرت القاهرة أيضًا، إنها رائعةٌ تمامًا. بلد الأهرامات!

وضع الخاتم في إصبعه، ثم ظلَّ يتأمَّله لحظةً، وأخيرًا قال: كم هو رائع!

كان الجرسون قد جاء بالطعام، وبدأ يضعه أمامه، لكن الرجل لم يلتفت إليه، بل ظلَّ ينظر إلى الخاتم، وأخيرًا قال: هل ... هل تبيعه لي؟

فكَّر «أحمد» قليلًا ثم قال: لقد ورثته عن أبي، وعندما أُفكِّر في بيعه، فسوف يحتاج منِّي ذلك إلى التفكير بعض الوقت.

قال الرجل بسرعة: وسوف أكون سعيدًا ... لو اشتريته منك.

كان «أحمد» يُفكِّر في شيءٍ ما ... وعندما نظر إلى «بو عمير» كان هو الآخر يُفكِّر في نفس الشيء ...

العصافير ... والبنادق ... وجهًا لوجه!

ملأ الرجل فمه بالطعام ... كان يأكل في نهمٍ، وكأنه لم يأكل منذ أيامٍ، وظلَّ مستغرقًا في طعامه، بينما «أحمد» و«بو عمير» ينظران إليه، ثم رفع رأسه فجأةً، وقال: نسيت أن أُقدِّم نفسي إليكما، اسمي «جان رول»، وينادونني «رول» فقط.

تحدَّث «أحمد» بطريقة الدقَّات إلى «بو عمير»، قال: أفكِّر أن أبيع الخاتم. ردَّ «بو عمير»: إنني فكرت في نفس الشيء، لكن ... إنني أشكُّ في الرجل. قال «أحمد»: فيمَ تشكُّ؟

بو عمير: إنه أحد أفراد العصابة ... وبالرغم من أنَّ «أحمد» قد دُهِشَ لحديث «بو عمير»، إلَّا أنَّ ذلك لم يظهر على وجهه ... أكمل «بو عمير» كلامه بلغة الشياطين: ألم يلفت نظرك كذب أقواله؟ لقد قال إنه جاء هنا منذ ثلاثة أيامٍ فقط، ثم عاد فقال إنه لم يأكل منذ مدةٍ ... ثم غيَّر حديثه وقال إنه يملك مزرعةً هنا.

أجاب «أحمد»: عندك حق.

كان «رول» قد انتهى من طعامه، وأخذ ينظر إليهما لحظةً، ثم إلى الخاتم الذي كان لا يزال في إصبعه، ثم قال: هل فكَّرتما؟

أحمد: نعم.

رول: في الخاتم؟

ابتسم «أحمد» وقال: لا أظنُّ أنني يمكن أن أبيعَه، إنه يُمثِّل بالنسبة لي ذكرياتٍ غالية ... وأظنُّك توافقني على عدم بيعه.

نظر «رول» إلى الخاتم متأمِّلًا، ثم قال: هذا صحيحٌ ... معك حق.

خلع الخاتم وأعاده إلى «أحمد»، ثم فجأة وقف وقال: هل تقبلان دعوتي إلى المزرعة؟

قال «بو عمير»: إنَّ هذه مسألةٌ تحتاج إلى ترتيب ... ليتنا نحصل على العنوان، ونعدك بالزيارة.

هزَّ «رول» رأسه وقال: كما تشاءان!

أخرج من جيبه الخلفي قلمًا، ثم سحب منديلًا من الورق من فوق الترابيزة، ثم كتب العنوان وقدَّمه إلى «أحمد» قائلًا: إنني نادرًا ما أغادر المزرعة. ثم بعد لحظةٍ ابتسم وأكمل: إلَّا إذا كنت على سفرٍ من أجل الجلود ... تحياتي، وإلى اللقاء. ثم تركهما «رول» وانصرف.

لم يبقَ «أحمد» و«بو عمير» طويلًا في المطعم، فقد غادراه. وعندما أصبحا في الشارع، قال «بو عمير»: ينبغي أن نعود إلى الفيلَّا؛ فقد يكون هناك شيءٌ.

أحمد: يجب أن تنتظرني في مكانٍ ما، وسوف أذهب إلى الفيلَّا وحدي.

خلع الخاتم وأعطاه لـ «بو عمير» قائلًا: إننا يمكن أن نستخدم هذا الخاتم بطريقةٍ مفيدة.

أخذ «بو عمير» الخاتم ووضعه في إصبعه، فأكمل «أحمد»: سوف أرسل كلَّ رسائلي بمكاني حتى لا يعرف أحدٌ كيف نتحرك.

افترقا ... واتجه «أحمد» مباشرةً إلى الفيلَّا، وعندما وقف أمامها، كانت تبدو هادئةً تمامًا، فدخل في حذرٍ، وقطع الممرَّ الطويل في الحديقة إلى حيث باب الفيلَّا ... لم يكن هناك شيءٌ يلفت النظر ... ضغط جرس الباب، فرنَّ في الداخل، فعرف أنَّ الكهرباء كانت قد قُطعت أمس بأيدي العصابة.

فجأة، حدث ما لم يكن يتوقعه، فلقد فُتح باب الفيلَّا بسرعةٍ، ثم امتدَّت بعض الأيدي تجذبه إلى الداخل ... لم يقاوم، ترك نفسه للأيدي التي جذبته، لكنَّه عندما أصبح في الداخل استطاع أن يُحدِّد ثلاثةً من الرجال، فطار في الهواء، وبحركةٍ مزدوجةٍ ضرب اثنين منهم بقدميه، وقبل أن يستقرَّ على الأرض، كان قد ضرب الثالث ضربة «سيف اليد» على رقبته؛ فصرخ ثم تهاوى على الأرض ... وبدأت معركةٌ حاميةٌ، قفز أحد الرجال في الهواء، وعندما استعدَّ «أحمد» لملاقاته، كان الثاني قد ضرب «أحمد» ضربة «منقار النسر»، فتفجَّر الدم بغزارةٍ من صدره ... كانت ضربةً حادةً، إلَّا أنَّ «أحمد» لم يشعر بشيءٍ، وتلقَّى الرجل الآخر بدورةٍ كاملةٍ من جسده، ثم انبطح على الأرض، وتدحرج بسرعةٍ، فنزل الرجل بجواره، وعندما اشتبك معه بالأيدي، كان الثالث قد قفز في اتِّجاه «أحمد» الذي قفز قفزةً ثُعبانيَّة، جعلته يستقرُّ على قدميه، ثم يضرب الرجل بمشط قدمه ضربةً أطارته في الهواء.

كان واضحًا أنَّه يلعب مع ثلاثة مُدرَّبين على أعلى مستوى، وأنَّ القوة غير متكافئةٍ، فضغط جهاز الإرسال في حزامه، فأعطى إشارة الإنذار للشياطين ... كان الرجل الثالث قد أفاق، فاندفع في اتجاه «أحمد» بقوةٍ، وعرف «أحمد» أنه سوف يضربه ضربةَ «مخلب الدبِّ»

فتفادى الضربة، ثم تلقَّى لكمةً قويَّةً من آخَر بحركةٍ جعلتها ضعيفةً. استمرَّت المعركة ربع ساعة، فجأةً ... لم يكن «أحمد» وحده. لقد فُتح باب الفيلَّا وظهر «خالد» و«رشيد» ... ما إن رآهما الرجال الثلاثة حتى تسمَّروا للحظة، ثم دارت المعركة من جديدٍ ... أمسك «رشيد» بيد أحد الرجال، ثم دار به، وأراد الرجل أن يؤدِّيَ حركةً عكسيَّةً، إلَّا أن «رشيد» كان قد أدرك هذا تمامًا. ترك يد الرجل، فدار وحده في الهواء، ثم تلقَّاه بمشط رجله في حركةٍ قاسيةٍ، جعلت الرجل ينزل على الأرض، ويترنَّح كالطير القتيل. في نفس اللحظة، كان «أحمد» قد ضرب أحدهم ضربةً أطاحت به في اتجاه باب إحدى الغرف، حتى اصطدم به ... رأى «أحمد» أحدهم وقد أمسك بعنق «خالد» في قوة، حتى ظهر الإعياء على وجه «خالد»، فعاجله «أحمد» بلكمةٍ قويةٍ في بطنه جعلته يَئِنُّ، ثم يتهاوى على الأرض، وعندما التفت إلى الرجل الآخر لم يجده. أسرع إلى باب الغرفة وفتحه، كانت نافذة الغرفة مفتوحةً ... أسرع إليها، ولم يسمع سوى صوت سيارةٍ تنطلق في سرعةٍ جنونيةٍ، عاد إلى حيث المعركة، فلم يجد أحدًا. أسرع إلى باب الفيلَّا المفتوح، كانت هناك مطاردةٌ بين «رشيد» و«خالد» والرجلين. أدرك «أحمد» أنها خطةٌ مرسومةٌ، فلم تكن المطاردة جادَّةً من الشياطين، وفي لمح البصر، كان الرجلان يهربان.

وقف الشياطين الثلاثة، وكان الرجلان قد اختفيا تمامًا.

قال «أحمد»: يجب أن نُغادر الفيلَّا الآن.

أسرع الشياطين بالخروج، وفي منتصف الشارع استقلُّوا تاكسيًا ... كان من الواضح أنهم يتحركون الآن بسرعةٍ ... نزل الشياطين من التاكسي قريبًا من المقرِّ السرِّي، وعندما اختفى التاكسي أخذوا طريقهم إلى المقر ... في الداخل بدأ «أحمد» ينفِّذ خطته الجديدة ... في نفس الوقت كان «رشيد» يُرسل رسالةً إلى «بو عمير»: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س»، أين أنت؟»

وجاء الردُّ بسرعةٍ: أجلس في نقطة «م»، حولي بعض العصافير تتحرك.

نقل «رشيد» الرسالة إلى الشياطين، فقال «أحمد»: أنتما الآن غير معروفَين للعصابة، يجب أن تتبعا «بو عمير» ... ثم شرح لهم حكاية الخاتم؛ فضحك «خالد» وقال: إننا نردُّ عليهم بنفس الطريقة.

ثم أخرج جهاز الاستقبال الصغير ... كانت هناك نقطةٌ حمراء تتحرك، ومعها يتحرَّك مؤشرٌ أخضر. قال «خالد»: ها هم، ولا أظن أنهم سوف يبعدون عنَّا!

شرح لهم «خالد» كيف ثبَّت دبوسًا صغيرًا في ملابس الرجل الذي كان قد اشتبك معه ... فجأة لمعت لمبةٌ صفراء في جهاز استقبال المقر، فأسرع «خالد» إلى الجهاز، كانت هناك

رسالة: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س»، نحن في القفص عند النقطة «ل»، يجب أن تجهز البنادق فورًا.»

نقل «خالد» مضمون الرسالة إلى الشياطين ... كان «أحمد» قد انتهى مما يفعل، ونظر له «رشيد» في دهشةٍ وقال: رائعٌ، أُراهن أنك سوف تعمل معهم!

أحمد: يجب أن ننصرف الآن ... عليكم بالذهاب إلى «بو عمير»، وأنا سأذهب إلى النقطة «ل».

انصرف الشياطين الواحد بعد الآخر من المقر السري ... استقلَّ «أحمد» تاكسيًا، واتجه إلى النقطة «ل» ... توقَّف التاكسي عند شارع ٤٩، فنزل «أحمد» وكان يمسك عصًا متوسطة الطول، وعندما انصرف التاكسي، أخذ طريقه إلى المنزل رقم ١٤ ... قال في نفسه: إنها خطةٌ. لقد أعادوا «ريما» و«زبيدة» إلى نفس العنوان لتكونا طُعْمًا للشياطين، لكنه طُعْم مفهومٌ.

عندما وقف أمام باب المنزل رقم ١٤، تقدَّم منه أحدُ الرجال قائلًا: هل يريد السيد شيئًا؟

أحمد: نعم، أُريد مقابلة السيد «ويب».

ظهرت الدهشة على وجه الرجل، وقال متسائلًا: السيد «ويب»! هل تعرفه؟!

أحمد: لديَّ رسالةٌ عاجلةٌ إليه ... يجب أن ألقاه الآن وبسرعة.

ضغط الرجل زرًّا على الباب، ثم رفع سماعة التليفون، وتحدَّث بإشاراتٍ لم يفهمها «أحمد» جيدًا ... بعد لحظةٍ، وضع السماعة ثم التفت قائلًا: تفضَّل.

تقدَّم «أحمد» خلف الرجل ... إنه يعرف هذا المكان جيدًا، فقد دخله ليلة المباراة في المغامرة السابقة ... «الحزام الأسود».

بعد خطواتٍ تركه الرجل، فظهر آخر انحنى له، ثم سار أمامه. ظلَّ يدخل من مكانٍ إلى مكانٍ، وفي كل مرةٍ يتقدَّمه رجلٌ آخر ... في النهاية، وصل إلى القاعة الكبرى، نفس القاعة التي جلس فيها ليلة المباراة ... كان يجلس وحده، لكنه كان يعرف أنَّ آلاف العيون حوله الآن ... كانت الدقائق تمرُّ ببطء، ولم يظهر أحد أمامه، شعر بدفء الجهاز، وعرف أنَّ هناك رسالةً من الشياطين، وضع يده على الجهاز، وبدأ يقرأ الرسالة ... كانت من الشياطين ... وتقول: «العصافير كثيرة، نفكِّر في دعوة بقية الصيادين.» أرسلَ بسرعةٍ: «لا داعي، فَرِّقوا العصافير.»

فجأة، ظهر «كاسيو كاليكت»، وكانت تبدو بعض الجروح في وجهه ... تقدَّم في هدوءٍ حتى اقترب، فوقف «أحمد» وحاول أن يكون رقيقًا تمامًا، فقال: أهلًا بالسيد «كاسيو». ظهرت الدهشة على وجه «كاسيو» وسأل في حدَّةٍ: هل التقينا قبل الآن؟

أحمد: نعم، في «دوفر» حيث كُنَّا نشترك في عمليةٍ واحدةٍ.

ظلَّت الدهشة مسيطرةً على وجه «كاسيو»، وحاول أن يتذكَّر ... وأخيرًا قال: لا أظن أننا التقينا ... لا بأس ... قد يكون صحيحًا ... اجلس.

جلس «أحمد» وجلس «كاسيو». قال «أحمد»: أُدعى «براكان»، وقد جئت في مهمةٍ عاجلةٍ ... إنني أعمل مع «القصر الطائر» ... ولدينا عمليةٌ كبيرةٌ، نحتاج وجودكم فيها.

هزَّ «كاسيو» رأسه ... ثم قال: هل هي عمليةٌ سريعةٌ؟

أحمد: نعم.

كان «كاسيو» ينظر إلى «أحمد» في تأمُّلٍ واضحٍ. ثم قال: أذكر أننا التقينا، لكني لا أذكر بالتحديد متى أو أين!

ضحك «أحمد» محاولًا أن يجعل الموقف طبيعيًّا: كانت عمليةً ضخمةً، تلك التي اشتركنا فيها.

قطع «كاسيو» كلام «أحمد»: ومتى تبدأ عمليتكم؟ وأين؟

أحمد: نحن لم نحدِّد موعدها بعد، غير أنها ستكون في «كاليه».

لم تبرح عينا «كاسيو» وجه «أحمد»، ولكنه فجأةً قام ثم اتجه إلى شرفةٍ عريضةٍ، وقف ينظر منها قليلًا، ثم قال: «مستر براكان»، معلوماتي تقول إن عصابة «القصر الطائر» لا تعمل إلَّا في أمريكا!

ضحك «أحمد» ضحكةً مهذَّبةً، ثم قام إلى حيث يقف «كاسيو» وقال وهو في الطريق إليه: إن حركتنا داخل أمريكا كان يجب أن تتوقَّف قليلًا، لهذا نقلنا نشاطنا مؤقَّتًا إلى أماكنَ متفرقة.

كاسيو: هذا يُعتبر اعتداءً على سلطات الآخرين، أليس كذلك؟

فكَّر «أحمد» بسرعةٍ، ثم قال: إنَّ هناك بعض الاتفاقات قد تمَّت مع الآخرين!

نظر «كاسيو» إلى «أحمد» بعمقٍ، ثم قال: انتظرني لحظةً، إننا يجب أن نتَّفق.

انصرف «كاسيو» في خطواتٍ جادةٍ، وعندما اختفى تَنفَّسَ «أحمد» في عمقٍ ... لقد خشيَ طَوال هذه الفترة أن يكتشفَه «كاسيو».

مرَّت دقائق، ثم فجأة كاد «أحمد» يصرخ من الدهشة، عندما التفت إلى الباب.

فجأة تأكَّد كلُّ شيء

كانت «زبيدة» تدخل في خطواتٍ هادئةٍ، ثم توقَّفت قليلًا وأخذت تتأمَّل «أحمد» ... فتحدَّث هو بسرعة، حتى لا ينكشف الموقف: اسمي «براكان» ...

ظهرت الدهشة على وجه «زبيدة»، وتردَّدت قليلًا، ثم أدركت بسرعةٍ ما يقصده «أحمد» ... ثم وقف «أحمد» ومدَّ يده ليُحييها، وضغط على يدها ضغطاتٍ فهِمَتْها، فقالت بسرعة: أهلًا بالسيد «براكان» ... لا بُدَّ أنك في مهمة؟

أحمد: نعم، لقد تحدثت مع السيد «كاسيو» بشأنها. إنني في انتظار لقاء السيد «ويب».

بلغة الدقَّات، تحدثت «زبيدة»: إنَّ «ويب» ليس هنا، إنه ليس الزعيم، يبدو أنَّ هناك زعيمًا أكبر.

فجأة ظهر «كاسيو» على الباب، وكانت تبدو على وجهه ابتسامةٌ خبيثةٌ، استطاع «أحمد» أن يفهمها جيدًا ... قال «كاسيو»: عضوٌ جديدٌ في جماعتنا. إنها تُجيد فنونَ الكاراتيه بدرجةٍ فائقةٍ، لكن هذه ليست المفاجأة الوحيدة ... إننا سوف نتعاون معًا!

نظر إلى «زبيدة» ثم قال: يمكن أن تنصرفي ... إنني فقط أردت أن أُقدِّمك إلى زميل جاء للتعاون معنا ... ربما اشتركتِ معه في العملية القادمة ...

حيَّت «زبيدة» «أحمد»، ثم انصرفت. قال «كاسيو» مبتسمًا: سوف تلتقي بالسيد «ويب» حالًا ... إنه فقط يُجري اتصالًا ما.

كان «أحمد» قد أيقن — منذ ابتسم «كاسيو» — أنه قد انكشف، وأن خدعة الماكياج لم تمرَّ بسهولة ... على الأقل أنه يشكُّ، وإلا ما أرسل «زبيدة». بينما كان «أحمد» يحاول أن يتأمَّل «كاسيو» الذي كان يبدو مُستغرقًا في التفكير، كان «كاسيو» يفكِّر في موقفٍ آخر ... رفع «كاسيو» رأسه إلى «أحمد» ثم قال: ما رأيك في جلسةٍ طيِّبةٍ حتى يصل السيد «ويب»؟

أحمد: لا بأس!

وقف «كاسيو»، فتبعه «أحمد»، وأخذ طريقه إلى الشرفة ... كانت هي نفس الشرفة التي جلسوا فيها مع «ويب» ... الشرفة الواسعة التي تُطلُّ على منظرٍ رائعٍ. قال «كاسيو»: أظن أنك لم تجلس هنا قبل الآن أيها السيد «براكان».

اغتصب «أحمد» ابتسامةً ثم قال: لا أظن! غير أنَّنا نسمع عن مقرِّكم.

ضحك «كاسيو» بعمقٍ، ثم قال: ليس هذا هو المقر، إنَّ هناك مقرًّا آخر يجلس فيه السيد «ويب».

ثم ضحك بصوتٍ أعلى، وقال: المقر السري!

كانت هذه الكلمة كافيةً حتى يفهم «أحمد» أنَّ عصابة «الحزام الأسود» تكشف خطواتهم كلها. قال «كاسيو»: هل تأخذ كوبًا من عصير الليمون؟

هزَّ «أحمد» رأسه بالموافقة، كان يفكِّر ... هل وقع بقية الشياطين؟ وهل اكتشفوا المقر السري؟ ... بعد قليلٍ سمع «أحمد» وقع خطواتٍ تقترب، التفت تجاهها، فرأى ما توقَّعه تمامًا ... كانت «ريما» تحمل صينية من الفضة، عليها كوبان من الليمون ... طرَقَ على المنضدة التي أمامه كلمات فهِمَتْها «ريما»، وانحنت تقدِّم له الليمون، وبطرف عينه لمح «كاسيو» يتأمَّلهما معًا. شكرها ثم استغرق في شرب الليمون.

أخذ «كاسيو» كوب الليمون هو الآخر، ثم أشار إلى «ريما» فانصرفت. قال مبتسمًا: إننا نستغلُّ العنصرَ الناعم في جماعتنا. إنهنَّ أقدر على تنفيذ أشياءَ كثيرة.

دقَّ جرس تليفون بجواره، فرفع السماعة، ثم بدأ يستمع دون أن يردَّ. في النهاية وضع السماعة، ثم نظر إلى «أحمد»، وقال: سوف نلتقي بالسيد «ويب» بعد قليلٍ ... فقط هناك هديةٌ أريد أن أقدِّمها إليك دليل بداية تعاوننا.

أيقن «أحمد» أنَّ هناك مفاجأةً ما سوف تظهر بعد قليلٍ، ولذلك فقد أخذ يُعدُّ نفسه للمفاجأة.

أخذ «كاسيو» يتحدث في موضوعاتٍ كثيرةٍ؛ تكلَّم في الموسيقى، وفي الرحلات، وفي الطعام، وتحدث في الأدب والليل. كان «أحمد» يُتابع حديث «كاسيو» في هدوءٍ، ولم يكن يقطع حديث «كاسيو»، حتى دقَّ جرس التليفون مرةً أُخرى، فرفع السماعة، ثم استمع قليلًا ... ولم يردَّ سوى بكلمةٍ واحدةٍ: نعم.

وضع السماعة ... كان «أحمد» يحاول أن يفهم من تعبيرات وجهه، ماذا يمكن أن يفكِّر فيه «كاسيو» الذي التفت إليه بهدوءٍ، وقال: أعتذر.

ثم بعد لحظةٍ، أضاف: لقد أخَّرتك كثيرًا.

ابتسم «أحمد» وهو يقول: لا بأس، المهم أن نتفق.

فجأة ظهر بالباب رجلٌ ضخمٌ، اتسعت عينا «أحمد» وهو يراه ... تقدَّم الرجل وكان يحمل علبةً صغيرةً من القطيفة. حيَّا الرجل «أحمد»، الذي ردَّ مأخوذًا، وإن حاول أن يُخفيَ ذلك. إن هذا الرجل هو «رول»، نفس الرجل الذي لقيَه هو و«بو عمير» في المطعم. وابتسم «رول» في هدوءٍ وهو يقول: أهلًا بالسيد «براكان»!

أخذ «كاسيو» العلبة، ثم أشار إلى «رول» فانصرف.

عرف «أحمد» كلَّ شيءٍ عندما رأى «رول»، ورأى العبة. ابتسم «كاسيو» قبل أن يفتح العلبة، ثم قال: إن هذا تقليدٌ عندنا، أن نُقدِّمَ هذه الهدية لأصدقائنا، وما دمنا سنكون عملاء ... فأرجو أن تقبل هذه الهدية. وفتح «كاسيو» العلبة، ثم قدَّمها لـ «أحمد» الذي رأى ما توقعه؛ الخاتم الفضِّي ... أيقن الآن أنَّ «بو عمير» قد وقع في أيدي العصابة، لكنه في نفس الوقت فكَّر: هل وقع «رشيد» و«خالد»؟ وهل سيكون الشياطين كلهم في أيدي العصابة؟!

كان يتأمَّل الخاتم ليعطيَ نفسَه فرصةَ التفكير. إنَّ هذه فرصةٌ طيبةٌ؛ أن يكونوا جميعًا معًا ...

أخيرًا، ابتسم «أحمد» وقال: إنها هديةٌ رائعةٌ ... إنني الآن مطمئنٌّ تمامًا إلى أننا سوف نتعاون معًا طويلًا.

أخرج الخاتم من عُلبته، ثم وضعه في إصبعه، وأخذ يتأمَّله ... كان يفكر: ما هي الخطوة التالية؟ هل يترك الموقف للظروف؟ أو إنه يجب أن يتحرَّك الآن؟ قال في نفسه أيضًا: يجب أن أنتظر قليلًا، إننا في حاجةٍ للوصول إلى «ويب» أو إلى الزعيم الآخر.

عندما رفع عينيه عن الخاتم، كان «كاسيو» ينظر إليه، فقال مبتسمًا: أظنُّ أنَّ السيد «براكان» لم يرَ مثل هذا الخاتم من قبل؟

قال «أحمد»: لا أظن، بالرغم من أنني أحبُّ الفضة!

قال «كاسيو» مبتسمًا: في الشرق يحبُّون الفضة أيضًا!

تأكَّد «أحمد» أنَّ الشياطين قد انكشفوا تمامًا، وأنهم الآن أمام عصابةٍ غير عادية.

قال في هدوء: هل سنرى السيد «ويب» اليوم؟

أجاب «كاسيو»: بعد قليل.

رفع سماعة التليفون ثم تحدَّث: هل تحدد الموعد؟ نعم. حالًا.

وضع سماعة التليفون، ثم وقف قائلًا: الآن سوف نتحرك للقاء السيد «ويب».

وقف «أحمد» وتبعه ... كان يُفكِّر بسرعة، إنه لا بُدَّ من إرسال رسالةٍ الآن إلى الشياطين حتى يكونوا على علمٍ بكل ما حدث.

خرجا من الباب إلى أسانسير صغيرٍ حملهما معًا إلى جراج العمارة، وركبا السيارة التي كان يسوقها «كاسيو» بنفسه. فكَّر «أحمد»: إن هذه فرصةٌ؛ أن يكون «كاسيو» وحده، إنه يمكن أن يتخلَّص منه بسهولة، لكنه في نفس الوقت فكَّر بطريقةٍ أخرى: إن المقصود ليس «كاسيو» نفسه ... إن المقصود هو العصابة كلها.

لحظات وكانت السيارة تقطع شوارع «برن»، لكنها لم تستمرَّ في شارع واحد ... كان «كاسيو» يمرُّ في شوارعَ كثيرةٍ ضيقةٍ وواسعة. عرف «أحمد» أنَّ «كاسيو» يُريد أن يجعل الوصول إلى حيث «ويب» صعبًا، أو حتى مستحيلًا ... وضع «أحمد» يده على جهاز الإرسال، ثم بدأ يرسل رسالةً إلى الشياطين ... كانت حركته عادية، حتى إنَّ ذلك لم يلفت نظر «كاسيو» الذي كان مُستغرقًا في القيادة ... كانت الرسالة تقول: أين أنتم الآن؟ ...

وبسرعة جاءه الردُّ: نحن نتبعك، لقد فقدنا أثر «بو عمير»، ولم يُرسل إلينا بعد!

كاد «أحمد» يبتسم، ولكنَّه أخفى ابتسامته، وتأكَّد الآن أنَّ «بو عمير» قد وقع في أيدي العصابة، وأنَّ «رول» هو السبب.

دخلت السيارة في طريقٍ ضيقٍ، لم يكن يحدُّه سوى اللون الأخضر من النباتات، ولم تكن هناك سياراتٌ في الطريق، حتى بدا وكأنه طريقٌ خاصٌّ. فكَّر «أحمد»: كيف سيصل الشياطين؟ إنَّ سيارتهم يمكن أن تنكشف لو دخلت هذا الطريق!

ظلَّت السيارة في طريقها، وشيئًا فشيئًا بدأت تظهر بحيرةٌ واسعة، وكيف أنها بحيرة «لوجانص». وعلى قمةٍ خضراء، ظهر مبنًى أبيض، كان يلمع وسط الخضرة التي تحوطه. نظر إلى «كاسيو» وقال: إنه موقع رائع!

ودون أن ينظر إليه «كاسيو» قال: نعم، تستطيع أن تقضيَ فيه أيامًا لو أردت.

كانت ابتسامة خفيفة تُغطِّي وجه «كاسيو»، فهم منها «أحمد» ما الذي يعنيه بالضبط ... وبدأت السيارة تصعد الطريق الصاعد إلى حيث المبنى الأبيض. اختفت البحيرة الآن، ولم يعد يظهر سوى اللونين؛ الأبيض والأخضر ... اقتربت السيارة أكثر فأكثر، حتى توقَّفت أمام المبنى ... كان عبارة عن قصرٍ ضخمٍ يتوسَّط حديقةً واسعةً تمامًا، وكان يبدو هادئًا، وكأنه لا يسكنه أحد. عندما فتح «كاسيو» باب السيارة، فُتح باب القصر تلقائيًّا، ولم تمضِ لحظةٌ حتى ظهر رجلٌ ضخم في الباب. نظر إلى «كاسيو» ثم أسرع إليه رافعًا يده بتحيةٍ،

ظهرت أنها تحيةٌ متفقٌ عليها. نزل «أحمد» وتبع «كاسيو»، فاقترب الرجل ثم همس في أذنه بكلماتٍ لم يسمعها «أحمد». نظر «كاسيو» وقال: تفضَّل أيها السيد «براكان»، إن السيد «ويب» في انتظارنا. وعندما تجاوزا الباب، كانت هناك قاعةٌ واسعةٌ تمامًا ... لفت نظر «أحمد» ارتفاع السقف وتلك النقوش الجميلة التي تزينه ... نظر إليه «كاسيو» ثم قال: تستطيع أن تستريح قليلًا حتى أعود إليك.

اختفى «كاسيو»، وظلَّ «أحمد» يتأمَّل القاعة الفسيحة ... كانت التماثيل البرونزية والرخامية تملأ المكان، وفي صدر القاعة كانت هناك شرفةٌ عريضةٌ تُطلُّ على البحيرة ... مشى «أحمد» في هدوءٍ إليها، حتى وقف عندها ... كانت البحيرة تمتدُّ أمامه في هدوءٍ، وكان لونه الأزرق يُوحي بالراحة والتأمُّل معًا ... كانت هذه فرصة ليُرسل رسالة إلى الشياطين، وضع يده على الجهاز، ثم أرسل الرسالة: «نحن في المقر الآن.» وجاءه الردُّ: «نعرف، اللون الأزرق هو الطريق ... فهمنا ماذا تعني الرسالة.» ثم ارتفعت موسيقى هادئةٌ، وكأنها افتتاحية لعمل مسرحي. ثم فجأة ... تأكَّد من كلِّ شيءٍ عندما التفت خلفه ...

معركة داخل المقر

كان «بو عمير» يدخل في خطواتٍ هادئةٍ، ابتسم «أحمد» عندما رآه، واقترب الاثنان وتحدَّثا بلغة الشياطين، فعرف «أحمد» أنَّ الخاتم كان جهاز إرسال يكشف مكان من يحمله، تمامًا كما فكَّر، وفكَّر «بو عمير» وعرف أنَّ العصابة تتبعت «بو عمير» حتى وقع في أيديها، وأنَّ بقية الشياطين كان يمكن أن يشتبكوا في معركةٍ؛ لكنهم فضَّلوا أن يقع «بو عمير» حتى يعرفوا مكان العصابة، ويلتقوا بزعيمها. وحكى «أحمد» ما حدث وكيف التقى بـ «ريما» و«زبيدة» في شارع ٤٩.

كانا «أحمد» و«بو عمير» يعرفان جيِّدًا أنهما مراقبان، وأنَّ العيون ترقبهم الآن في كل اتجاهٍ، ولذلك فقد بدآ حديثًا مُختلفًا باللغة الإنجليزية.

قال «أحمد»: أنا سعيدٌ أن ألقاك يا سيدي، لقد سمعت عن ألعابك الرائعة، وكان من سوء حظِّي أنني لم أحضر حفلكم الأخير، اسمح لي أن أُقدِّم لك نفسي: اسمي «براكان» وينادونني «براك»، تستطيع أن تناديَني به.

بو عمير: هذه فرصةٌ طيبةٌ يا سيد «براك» ... أتمنى أن تُشاهد إحدى حفلاتنا فيما بعد ... إننا فرقةٌ من المحترفين.

أحمد: هذا يُسعدني تمامًا أيها البطل، غير أنني أعتقد أن فنون «الكاراتيه» تتطور كثيرًا، ومؤخرًا قرأت بحثًا رائعًا عنها.

بو عمير: أتمنى أن أحصل عليه.

أحمد: إنني أيضًا من هواة اللعبة ... ولقد جربت تلك الحركات الأخيرة وأجدتها.

رأى «أحمد» الزعيم «ويب» في طريقه إلى الباب، فغيَّر الموقف تمامًا قائلًا: هذه واحدةٌ من الحركات الجديدة. وفي أقل من لحظةٍ كان «بو عمير» مُمدَّدًا على الأرض، لقد استخدم «أحمد» معه ضربة «المطرقة المفاجئة».

وقف «ويب» ينظر في دهشةٍ لما حدث، ولكن وقفته لم تطل، فقد قفز «بو عمير» كالثعبان، وضرب «أحمد» ضربةً أطارته في الهواء ... غير أنه نزل واقفًا، ثم دار دورتين طار خلالهما «بو عمير»، ثم أمسك بإحدى ذراعيه وأدارها دورةً عكسيَّةً جعلته يصطدم بأحدِ الكراسيِّ، ثم سقط على الأرض. رفع «ويب» يده، فتوقَّف «بو عمير»، وقال «ويب»: إنه زميل!

نظر إليه «بو عمير» لحظة، ثم نظر إلى «أحمد» واقترب منه قائلًا: إنني آسفٌ يا سيد «براكان» ... لقد أردت فقط أن أُقدِّم لك حركةً يابانيةً أقوى من تلك الحركات الجديدة التي تعلمتها!

مدَّ يده إلى «أحمد»، الذي جذبه في سرعةٍ، ثم رفعه في الهواء بقدميه، فطار فاتحًا ذراعيه، ثم نزل قريبًا من الشرفة.

ضحك «ويب» وهو يقول: حركةٌ بارعةٌ حقًّا، وإن كان الآخر قد أعطاه الأمان يا سيد «براكان».

قام «أحمد» وهو يقول: في اللعب، لا يوجد شيءٌ اسمه الأمان، هناك دائمًا نتيجة اللعب.

اقترب «بو عمير» وقال: لكننا لا نلعب الآن!

رفع «ويب» يده وهو يقول: لا بأس! لقد استمتعت بمباراةٍ قصيرةٍ طيبةٍ.

تقدَّم «ويب» حتى جلس في مقعدٍ ضخمٍ عند الشرفة، ثم قال: تفضَّلْ يا سيد «براكان».

عندما اقترب «أحمد» من «ويب»، كان «ويب» قد ضغط زرًّا صغيرًا لا يكاد يظهر. ولم تمضِ لحظةٌ حتى دخل «كاسيو» ... أشار له إشارة جعلته يقترب من «بو عمير» ثم يأخذه إلى الخارج.

نظر «ويب» إلى «أحمد»، ثم قال: سيد «براكان»! تُرى هل التقينا من قبل؟

ابتسم «أحمد» وقال: لا أظن أننا التقينا يا سيدي! غير أنني سمعتُ كثيرًا عنك، وكنت أتمنى أن ألقاك!

هزَّ «ويب» رأسه في هدوءٍ، ثم قال: ما الذي تريده بالضبط؟

قال «أحمد» بسرعة: إنَّ أمامنا عمليةً ضخمةً سوف نقوم بها في إحدى الدول العربية، ونحتاج إلى معاونتكم.

نظر «ويب» إلى البحيرة الهادئة، ثم رفع سماعة تليفون بجواره، وقال: لحظة واحدة.

مرَّت برهةٌ، ثم تحدَّث في التليفون: نعم، فليدخلوا.

ما كاد يضع السماعة، حتى ظهرت «ريما» ثم «زبيدة» ثم «بو عمير» ... كانت لحظة غريبة، فأيُّ خطأ فيها يوقع الشياطين جميعًا.

نظر «ويب» إلى الشياطين، ثم قال: اقتربوا، إننا في حاجةٍ إليكم.

اقترب الشياطين، ثم جلسوا بالقرب من «أحمد»، فنظر «ويب» إليهم جميعًا، ثم قال: هؤلاء أقوى رجالي، وقد استعنتُ بهم في أكثر من عملية، وحقَّقوا نتائجَ باهرةً ... إنهم لا يحملون سلاحًا؛ إنَّ أسلحتهم في حركاتهم الرشيقة السريعة، غير أن أُجورهم مرتفعةٌ تمامًا.

نظر «أحمد» إليهم، ثم أشار إلى «بو عمير»، وقال: هذا لاعبٌ ماهرٌ جدًّا ... ويمكن الاعتماد عليه.

ويب: الآخران لهما نفس المقدرة، غير أنَّ لهم زميلًا رابعًا خرج في مهمةٍ ولم يَعُدْ بعد، لكنه لن يتأخر طويلًا، فمتى تقومون بالعملية؟

أحمد: إنَّ هذا يتوقَّف على اتفاقنا؟

شرد «ويب» قليلًا، وظلَّت عيناه مُعلَّقتَين بسطح البحيرة الساكن ... كان الشياطين يفكِّرون بسرعةٍ، إنَّ هذه فرصةٌ طيبةٌ يمكن أن يحقِّقوا فيها انتصارًا باهرًا، والتقت أعينهم بسرعةٍ، وعاد «ويب» ينظر إليهم، ثم ضغط الزرَّ الصغير بجواره، فدخل «كاسيو» فنظر له «ويب» قليلًا، ثم سأل: ألم يَعُدِ العضو الرابع؟

كاسيو: إننا في انتظاره، وأظن أنه لن يتأخر طويلًا.

ما كاد «كاسيو» ينتهي من كلامه، حتى كان «بو عمير» قد دار حوله في حركةٍ سريعةٍ ... في نفس الوقت الذي قفز فيه «أحمد» وضرب «ويب» ضربةً مفاجئةً، قلبت الكرسيَّ الضخمَ الذي يجلس عليه ... لم يتحرك «كاسيو» ... كان يعرف أنه يمكن أن يُقتل ضربًا، فوقف وذراعاه متدليتان بجواره ...

استعاد «ويب» جلوسه على الكرسي، فقد كان يتحرَّك بيايات، ثم انطلقت عدة طلقاتٍ من ذراعَي الكرسي، وكانت الطلقات بلا صوت، لكنها لم تُصِبْ أحدًا من الشياطين، فقد كانوا يقفون بعيدًا عن مَرْمَى الطلقات ... غير أنَّ «كاسيو» كان يقف أمام الكرسيِّ بالضبط، فسقط قتيلًا. دار «ويب» بالكرسي الذي كان يتحرَّك في كل اتجاهٍ ... في نفس الوقت الذي ظلَّت فيه الطلقات تنطلق، لكن الشياطين كانوا أسرع من حركة الكرسي، فقد انبطحوا أرضًا، فطاشتِ الرَّصاصات، وأسرع «بو عمير» فدار دورتين على الأرض، وفي حركةٍ سريعةٍ، ضرب «ويب» في وجهه بقدمه، فانثنى الكرسيُّ إلى الوراء، وفقد «ويب» سيطرته على الموقف ... كانت «ريما» أسرع، فطارت في الهواء وسقطت خلف الكرسي، ثم تعلَّقت بعنق «ويب»، وضغطت عليه ... غير أنه كان متين البُنيان، فمدَّ يديه إلى رأسها؛ ليمسك بها، إلَّا أنَّ

«زبيدة» عاجلته بضربةٍ خُطَّافية أسفل ذقنه، جعلته يئنُّ وإنْ ظلَّ متشبثًا برأس «ريما». ورأى «بو عمير» أن يتدخَّلَ بسرعة، فضربه ضربةً جعلته يترك «ريما». أرسل «أحمد» رسالةً سريعةً إلى الشياطين، ولم يكد ينتهي منها حتى ظهر وجهان خلف زجاج الشرفة، كانا هما «خالد» و«رشيد» ... أسرع «أحمد» يفتح الشرفة، فقفز الاثنان إلى الداخل، وكان «ويب» لا يزال يُعاني من النزيف الحاد بعد ضربة «بو عمير» ... قال «أحمد»: ينبغي أن نُسعفه، وإلَّا مات. وقف الشياطين دون حَراك؛ فإنَّ خروجهم الآن يمكن أن يكشف موقفهم تمامًا. قال خالد: إن «أحمد» يمكن أن يُنقذَنا، فإنه يستطيع أن يدَّعيَ أنَّ خلافًا نشِبَ بين الاثنين «كاسيو» و«ويب» أدَّى إلى هذه النتيجة.

أسرع «أحمد» إلى خارج القاعة، وما كاد يتقدَّم حتى ظهر «رول» ... كان يبتسم في قسوةٍ وهو يكشِّر عن أسنانه، وقال: إلى أين؟ إنني الزعيم الآن!

أظهر «أحمد» دهشته قائلًا: إنَّ الزعيم ينزف من آثار المعركة التي قامت بينه وبين «كاسيو»!

ضحك «رول» ضحكة جَلْجَلتْ في المكان، ثم قال: تشاجرا؟ ألا تدري أنكم مراقبون؟! لقد رأيتُ الموقعة كلها.

لم يكد «رول» ينتهي من جملته حتى كان يطير في الهواء إثر الضربة المفاجئة التي ضربها له «أحمد»، بينما كان الشياطين يقفون مُتحفِّزين لأيِّ هجومٍ ... وقف «رول» وهو يمدُّ يده كالبرق ليسحب مسدسه، ثم أطلق طلقةً مُحْكَمةً، أصابت رأس «ويب» فانكفأ على وجهه، مصطدمًا بالأرض ... ضحك «رول» وقال: هل رأيت؟ إنني الآن الزعيم هنا. أي حركةٍ، سوف أقتل صاحبها.

نظر «أحمد» إلى «ويب» الذي كان غارقًا في دمائه، ثم نظر إلى «رول» الذي قال: من مصلحتنا جميعًا أن نتفق ... إنني أعرف أنك من عصابة «القصر الطائر»، وينبغي أن نضمَّ «الحزام الأسود» و«القصر الطائر»، حتى تكون لنا قوتنا. وهؤلاء؟ (أشار «رول» إلى الشياطين) ... ثم أكمل كلامه: إنهم محترفون، لا يهمهم سوى أن يتقاضَوْا أتعابهم! إمَّا أن ينضمُّوا إلينا، أو ننتهيَ منهم.

نظر «أحمد» إلى الشياطين قليلًا ... وفكَّر بسرعة: إنَّ هذه فكرةٌ طيبةٌ قدَّمها لهم «رول» دون أن يدري، ويجب استغلالها جيدًا.

نظر إلى «رول» وقال: فلنتفق إذن ... ثم نظر إلى الشياطين وأكمل: وأنتم هل ستنضمُّون إلينا؟!

نظر الشياطين إلى بعضهم، ثم قال «رشيد»: نعم، بشرط أن نتفق على النسبة من البداية.

أسرع «رول» يقول: لا بأس ... إنني موافق.

تقدَّم «رول» عدة خطوات، ثم جلس على أول كرسيٍّ قابله. كان مسدسه لا يزال مُصوَّبًا إلى الشياطين، وقال في هدوءٍ: إنني أعرف أن «براكان» قد اختلف مع «ويب»، ولهذا فإنني أتفق معكم. إنني لم أسمع ما دار من حديثٍ، لكنني شاهدت كلَّ شيء! ونحن يمكن أن نختلف الآن، ويكون مصيرنا مثل هذين.

صمت لحظة، ثم قال: يجب أن تجلسوا حتى نستدعيَ الآخرين ونتفق.

جلسوا جميعًا ... وكان «رول» لا يزال يمسك بمسدسه. وقال لـ «رشيد»: اضغط الزِّرَّ الذي بجوارك.

ضغط «رشيد» الزرَّ ... كان الشياطين ينتظرون وصول الآخرين؛ إنهم أفراد العصابة المقربون من الزعيم. بدأت أقدام تقترب، وظهر عددٌ من الرجال، كان يبدو عليهم الهدوء. اقترب أحدهم من «رول» ثم انحنى يتحدَّث إليه، لكنه فجأة غيَّر الموقف تمامًا ...

مفاجأة غير متوقَّعة

ضربه على يده بقوةٍ، جعلت المسدس يقع على الأرض ... وقبل أن يستطيعَ «رول» الحركة، كان الرجل قد ضرب المسدس بطرف حذائه، فابتعد عن يده، وتوقَّف عند قدمَي «خالد» الذي انحنى ليأخذه، إلَّا أنَّ طلقة رصاصٍ أبعدت المسدس مرة أخرى، وتراجع «خالد» مأخوذًا ... تَحلَّق أفراد العصابة حول «رول» الذي لم يتحرك من مكانه.

نظر الشياطين إلى بعضهم، لقد عرفوا أنَّ العصابة سوف تقتل نفسها بنفسها؛ صراعًا من أجل الزعامة. ومرَّت لحظةُ صمتٍ ... لم يكن أحد يتحرَّك من مكانه، ثم سمعوا وَقْعَ أقدامٍ تقترب. لحظة ثم تسمَّر الشياطين، لقد رأوا ما لم يخطر لهم ببال. التقت أعينهم عند جثة «ويب» المُلقى على الأرض، وظلَّت تنتقل بينها وبين الخطوات التي كانت تقترب، حتى توقَّفت بجوار «رول»، لقد كان القادم هو نفسه «ويب» الذي وضع يده في هدوءٍ على كتف «رول»، ثم ضحك ضحكةً خشنة، وقال: تمامًا كما فكرت يا سيد «باخ»، إنني أعرف أنك تتطلع إلى الزعامة ... لكن ... ليس بهذه السرعة! ونظر لمن حوله، ثم قال: أخرجوا الجثتين من هنا.

تقدَّم عددٌ من أفراد العصابة، فحملوا الجثتين «كاسيو» و«ويب» المزيف، ثم قال «ويب» الحقيقي: فلننتقل إلى مكانٍ آخر؛ إن هذا المكان يحمل رائحة الموت.

تراجع وغادر القاعة وظلَّ الرجال واقِفين ... قال أحدهم: تقدَّموا أيها السادة.

فأخذ الشياطين طريقهم إلى نفس الاتجاه الذي مشى فيه «ويب»، ثم بدأ بقية الرجال يتحركون. كانت هناك طرقاتٌ كثيرةٌ متشعِّبة، ساروا طويلًا، وفي النهاية، توقَّفوا أمام بابٍ ضخمٍ كان مفتوحًا، ودخلوا منه إلى قاعةٍ واسعةٍ.

كان غريبًا أن تكون القاعة الجديدة مُشابهةً تمامًا للقاعة الأولى؛ نفس الأثاث، نفس الترتيب، حتى الشرفة، والبحيرة والمنظر الخلفي؛ حيث كانت الجبال تلتفُّ حول البحيرة

... كان «ويب» يجلس في مقعدٍ مشابهٍ لمقعد القاعة السابقة، ونظر إليهم قليلًا، ثم تحدَّث: أيها الزملاء، إننا يمكن أن ننسى كلَّ ما حدث، وعلينا الآن أن نُعيد ترتيبَ أمورنا.

توقَّف لحظة، ثم قال: لقد فقدنا «كاسيو»، وهو أحد رجالي المخلصين، وفقدنا «سيلوني» الذي قام بدوري خيرَ قيامٍ، وراح ضحية أطماع «رول».

كان الرجال قد أعادوا «رول»، فجلس في هدوءٍ، وأكمل «ويب» كلامه: إنَّ اختلافنا يمكن أن يؤديَ بنا إلى الجحيم! فما معنى أن نتقاتل؟ ... إننا نعمل من أجل هدفٍ واحدٍ، فلماذا لا نتَّفق عليه؟

صمت مرةً أخرى، ثم قال: إننا سوف نعقِد مؤتمرًا عند منتصف الليل، نناقش فيه أمورنا حتى ننتهيَ إلى وضعٍ يلائمنا تمامًا، وأنا سعيدٌ لانضمام الأعضاء الجدد إلينا، هل يعترض أحد؟ ...

تلاقت أعين الموجودين جميعًا ... ولم ينطق أحدهم بكلمةٍ، فوقف «ويب» وقال: إلى اللقاء إذن عند منتصف الليل ... في نفس المكان.

وتقدَّم بخُطًى هادئةٍ بطيئةٍ، حتى وصل إلى باب القاعة، ثم التفت إلى الشياطين وقال: إنني أُرحِّب بكم. ثم انصرف، وحوله بعض الرجال، ثم أخذ أعضاء العصابة ينصرفون واحدًا واحدًا، حتى لم يبقَ سوى الشياطين و«رول» الذي عرفوا الآن اسمه الحقيقي «باخ»!

اقترب «أحمد» من «باخ» وقال: لقد خدعتنا يا سيد «باخ»! لقد تمنَّيْتُ أن أتعاون معك!

لم يردَّ «باخ» مباشرة، فلقد كان يبدو مأخوذًا ... بعد فترةٍ رفع رأسه إليهم وقال: إنني لا أصدِّق ما يحدث! لقد قتلت «ويب»، فكيف عاد؟!

بو عمير: لقد حملوه أمامنا، يبدو أنه أجاد تمثيل دَوْره جيدًا!

نظر الشياطين إلى «أحمد» نظرةً سريعةً، فقال «أحمد»: إنه فعلًا أجاد دوره، وأتقن مكياجه تمامًا!

تنفَّس «باخ» بعمقٍ، ثم قال وهو يقوم من مكانه: إنني لا أصدِّق ما حدث! لقد مات «ويب» الحقيقي! إنني أشكُّ في هذا الرجل.

ثمَّ ألقى «باخ» نظرةً على الشياطين، ثم قال: سوف نرى، إن المسألة ليست بعيدةً.

نظر في ساعة يده، ثم قال: باقٍ ساعتان، إنَّ الوقت يجري. ثم استدار ومشى مُتمهِّلًا، حتى خرج من القاعة.

أخذ «أحمد» مكانًا منفردًا، وجلس بعيدًا عن الشياطين، ثم تحدَّث إليهم بطريقة الدقَّات: يجب أن يكون «خالد» و«رشيد» وحدهما، و«بو عمير» و«ريما» و«زبيدة» وحدهم أيضًا؛ حتى لا ينكشف أمرنا ... سوف نُنفِّذ الخطة «م. ق» عندما يتمُّ الاجتماع ...

تفرَّق الشياطين، ولم تمرَّ لحظة حتى سمعوا صرخةً جعلتهم ينظرون في اتجاه الباب، وفكَّر «أحمد» بسرعةٍ، ثم أشار للشياطين أن يبقوا في أماكنهم، وتقدَّم هو في اتجاه الباب ثم اختفى. كان الشياطين متحفِّزين لأيِّ حركةٍ تحدُث، وغاب «أحمد» قليلًا، ثم عاد ونظر إليهم، وبطريقة الإشارة قال لهم: لقد قتلوا «باخ».

كان الوقت يمرُّ بطيئًا ... وكان الشياطين يتصرَّفون بحذرٍ حتى ظهر أحد الرجال، ثم اقترب من «أحمد» وانحنى أمامه قائلًا: السيد «ويب» يُرسل لك تحياته، ويسأل إنْ كنتَ تطلبُ شيئًا؟

فكَّر «أحمد» قليلًا ثم قال: انقُل تحياتي وشكري للسيد «ويب» ... إنني أريد النزول إلى الحديقة بعض الوقت.

قال الرجل: تفضَّل يا سيدي.

عندما وقف «أحمد» أسرعت إلى تفكيره خاطرةٌ: هل تكون هذه طريقة للتخلُّص منه على طريقة «باخ»؟

كاد يتراجع، لكنه خشيَ أن ينكشف، فاستمرَّ في طريقه حتى خرج. كانت حديقة القصر مُتَّسعة تمامًا، وظلَّ «أحمد» يتجوَّل فيها، حتى اطمأن إلى أنه أصبح بعيدًا، فوضع يده على جهاز الإرسال وأرسلَ رسالةً إلى رقم «صفر»: «من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر»، الصقور سوف تلتفُّ حول الفريسة ... نفكر في الطريقة «م. ق».»

وبسرعة جاءه الرد: «من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» ... إنها نفس الطريقة التي ستُتخذ الليلة، الصقور أصبحت فريسةً. «ويب» رجلٌ طيبٌ.»

أدهشت الرسالة «أحمد» وظلَّ يفكِّر فيها، ماذا يعني «ويب» رجلٌ طيب؟ هل هو أحد عملاء رقم «صفر»؟ لحظة ثم جاءته رسالةٌ أخرى: «من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س»، الوليمة ستكون طيبة.» ما إن ترجم الرسالة حتى مرَّت بجوار أذنه طلقةُ رَصاصة، فنظر حواليه في دهشة، إنهم سوف يتخلَّصون منه على طريقة «باخ» كما توقَّع، وقد يتصرَّفون بنفس الطريقة مع بقية الشياطين.

أرسل رسالةً سريعةً إلى الشياطين: «ماذا عندكم؟» ... وجاء الرد: «لا شيء!» ... كل شيءٍ هادئٌ ... أدهشه الرد! ماذا يحدث هنا إذن؟ وسمع طلقةً أخرى أصابت ساق الشجرة

التي يجلس بجوارها. حاول أن يحدِّد المكان الذي جاءته منه الرَّصاصة، غير أن رصاصةً أخرى أصابت المقعد الذي يجلس عليه، فقال في ثقةٍ: إنها خطةٌ جديدة للقتل!

قام من مكانه، ثم سار قليلًا. لحظة، ثم غيَّر اتجاه سيره، وتوقَّف. دوتْ طلقةٌ عند طرفَي حذائه، فأخذ طريقه بسرعةٍ إلى باب القصر، غير أنه توقَّف مرة أخرى؛ ليرى ماذا سوف يحدث، وظلَّ واقفًا لفترةٍ، إلَّا أنَّ شيئًا لم يحدث، فمدَّ يده يقطف وردةً حمراء أعجبته، إلَّا أنها سقطت قبل أن تصل يده إليها؛ بسبب طلقة رصاصة، فقال في نفسه: لا بُدَّ أنه «ويب» الذي يفعل ذلك، ترى مَن الذي يستطيع التصويب بهذه الدقة؟! أو ربما كان لديه أمهر الرماة ... لكنه سار في الحديقة في خطوطٍ متعرجةٍ حتى يستطيعَ أن يكتشفَ مصدر الرَّصاص. ثم توقَّفت الطلقات وعاد هو مرةً أخرى إلى حيث باب القصر.

ورفع يده ينظر في الساعة، وكانت قد جاوزت العاشرة بقليل، فكَّر قليلًا، ثم قال لنفسه: يجب أن أُحذِّر الشياطين. ووضع يده على جهاز الإرسال وأرسل الرسالة: لا يجب أن تبرحوا مكانكم، هناك خطةٌ للتخلُّص منا.

جاءه الردُّ سريعًا: إننا في الجهة اليمنى من الحديقة. كلُّ شيءٍ هادئٌ. فأرسل لهم رسالةً أخرى يشرح فيها ما حدث ... جاءه الرد: هل نلتقي؟

فكَّر قليلًا: إنَّ اللقاء يعني أن نُصبح كتلةً واحدةً، ولا شكَّ أننا مرصودون تمامًا. ولم يردَّ على الرسالة مباشرة، وأخذ طريقه إلى باب القصر. عندما اقترب منه، كان «ويب» يخرج إلى الحديقة، وبجواره بعض الرجال. ابتسم «ويب» وهو يُشير إلى «أحمد»: أيها الزميل «براكان» ... هل تنضمُّ إلينا؟

شعر «أحمد» أنها فرصةٌ لا يجب أن تفوت، وأسرع في اتجاه «ويب» قائلًا: أهلًا بالسيد «ويب»!

ابتسم «ويب» وقال: أهلًا «براكان»، ما رأيك في حديقة القصر؟

أحمد: إنها رائعةٌ بلا شك!

أشار «ويب» إلى الرجال، فانصرفوا ... أخذا يتحدَّثان في أشياءَ كثيرة، ولفت نظر «أحمد» أنَّ «ويب» يتحدث كثيرًا عن المغامرات، وعن المنطقة العربية، ويخصُّ دائمًا فِلَسطين بكلامٍ كثيرٍ ... سأله «أحمد»: هل زرتَ فِلَسطين؟

ويب: في بعض العمليات.

أخذ «ويب» يغنِّي لـ «أحمد» أغنياتٍ فِلَسطينيةٍ بلُغةٍ ركيكة ... ثم قال في النهاية: إنني أتحدَّث العربية قليلًا. ثم أعقب ذلك بضحكة عالية.

تردَّد «أحمد» أمام هذه الضحكة ... إنه يذكر صوتًا مماثلًا يضحكها ... أخذ «ويب» يتحدَّث بالعربية الركيكة وقال: قلْ لي ... متى نبدأ العملية؟

انتظر «أحمد» قليلًا ثم قال: عندما نتفق، سوف نبدأ ترتيبها مباشرة.

ويب: هل قرَّرت الانضمام إلينا؟

أحمد: إنني لا أستطيع أن أترك جماعتي ... إنَّ «القصر الطائر» لها وجودها المعروف!

هزَّ «ويب» رأسه، ثم استغرق في التفكير. فجأة سأل «أحمد»: ما رأيك في المجموعة؟

لم يُجِبْ «أحمد» مباشرةً بل انتظر قليلًا ... ثم سأل: أي مجموعة؟

ويب: مجموعة الش ...

غير أنه لم يُكمل كلمته، فقد انهمرت طلقات الرَّصاص كالمطر.

من هو الزعيم الحقيقي؟

دفع «ويب» «أحمد» وهو يقول: انبطحْ أرضًا! انبطح الاثنان، وزحف «أحمد» حتى اختفى خلف جِذع شجرة. لم تتوقف طلقات الرصاص، فأرسل رسالةً سريعةً إلى الشياطين: «من «ش. ك. س» إلى «ش. ك. س»، يبدو أننا دخلنا معركة لم تكن مُتوقَّعة، تصرفوا ...»

كان يشغل «أحمد» في هذه اللحظة تلك الكلمات التي لم يُكملها «ويب»، فماذا يعني بـ «مجموعة الش»؟ هل يعني بـ «مجموعة الشياطين»؟

زحف في حذرٍ حتى اقترب من «ويب»، وقال: هل حدث تمرُّد في العصابة؟

ويب: إنني حتى الآن لا أدري ماذا حدث؟

ظلَّا صامتَيْن لفترة ... ثم قال «أحمد»: إنَّ المجموعة التي سألتني عنها قد تكون هي السبب!

نظر له «ويب» لحظة، ثم قال: تقصد مجموعة الشباب؟

عرف «أحمد» أنه لم يكن يقصد مجموعة الشياطين، فقال: نعم.

ويب: لا أظن؟

تناقصت طلقات الرَّصاص شيئًا فشيئًا، حتى توقَّفت تمامًا، وأصبح الصمت ثقيلًا ... وسط ظلام الليل، كان الصمت يُنبئ بأنَّ شيئًا سوف يحدث، فبدأت أصوات أغصان الشجر ترتفع في المكان، ثم بدأ يتساقط المطر خفيفًا، لكنه اشتدَّ بعد ذلك، فأصبح كالسَّيْل. شعر «أحمد» بالمياه تتسرَّب إليه. قال «ويب»: يجب أن نزحف إلى مكانٍ آخر، وإننا نكاد نموت من البرد هنا.

كانت درجة الحرارة قد انخفضت تمامًا، فزحف الاثنان في اتجاه باب القصر. لمعت من بعيدٍ عدة لمبات مُضاءة. قال «ويب»: لقد خفضوا ضوء القصر!

لم يكد يُنهي جملته، حتى لمعت عدة كشافاتٍ قويةٍ، جعلت الليل كالنهار ... كانت خيوط مياه المطر تبدو واضحةً وكأنها حدود سياسية فوق خريطة لإحدى الدول ... فكَّر «أحمد» أن يُرسل رسالةً إلى الشياطين ليعرف ماذا يدور عندهم، لكنه خشيَ أن يكتشف «ويب» ذلك. قال: ينبغي أن نزحف متباعدَين، حتى لا يعثروا علينا.

ابتعد «ويب» وكانت هذه فرصة ليرسل «أحمد» رسالة. أرسل الرسالة: ما الموقف عندكم؟ جاءه الرد: إننا نزحف إلى القصر ... وسوف ندخله ... إن «رشيد» في الطريق إليك. لم تكد تنتهي الرسالة حتى كانت هناك دقاتٌ معروفةٌ تصل إلى «أحمد»، وعرف أنَّ «رشيد» قد اقترب منه، فردَّ بنفس الدقات. لحظة، ثم ظهر «رشيد»، فاقترب منه ثم قال: إنها مسألةٌ غير مفهومةٍ. وظلَّا يزحفان حتى اقتربا تمامًا من القصر. كانت الأضواء لا تزال تملأ الحديقة ... ثم فجأة انهمرت طلقات الرَّصاص مرةً أخرى، وكانت طلقاتٍ مكتومةَ الصوت، ولم يكشفها سوى اصطدامها بجذوع الأشجار أو أغصان الشجر ... لمح «أحمد» «ويب» يدور عند زاوية القصر، فأشار إلى «رشيد»، ثم أخذا نفس الاتجاه، وما كادا يصلان إلى نفس الزاوية، حتى أُطفئت الإضاءة، وغرق كلُّ شيءٍ في الظلام، وتردَّدت طلقات الرَّصاص المكتومة وتردَّد معها صوت الصرخات.

أرسل «أحمد» رسالةً إلى الشياطين: أين أنتم؟

جاءه الرد: نحن داخل القصر ... لقد أطفأنا الكشافات ... إننا بجوار القاعة الرئيسية.

أسرع «أحمد» و«رشيد» إلى باب القصر، وكان هناك حارسان وقفا وقد شرعا مدافعهما الرشاشة ... فتقدَّم الاثنان بجوار حائط القصر، وبحث «أحمد» عن حَجَرٍ صغيرٍ حتى وجده، فقذف به بعيدًا بين الحارسَيْن ... فانطلقت طلقات الرَّصاص منهما في اتجاه الحَجَر. بحث «أحمد» عن حَجَرٍ آخر وقذفه بعيدًا في اتجاه مختلفٍ، فدار الحارسان، وهما يُصوِّبان في اتجاهه، وهكذا أصبح ظهراهما ناحية «أحمد» و«رشيد». قفز الاثنان في لحظةٍ واحدةٍ، وضربا الحارسَين، في نفس الوقت، وقع الحارسان على الأرض، وأصبح كلٌّ منهما تحت رحمة واحد من الشياطين ... ضرب «أحمد» الحارس المُلقى أمامه ضربةً جعلت الحارس يئنُّ ... في نفس اللحظة، كان «رشيد» يضرب الحارس الآخر ضربة «مخلب الدب»، فتفجَّرت الدِّماء من صدره.

استولى الاثنان على الرشاشات، بعد أن تركا الحارسَين فاقدَي الوعي، وتقدَّما إلى القصر. كان الصمت يلفُّ كل شيءٍ، فأرسل «أحمد» رسالةً إلى الشياطين: أين أنتم الآن؟

وجاءه الرد: نحن في القاعة الرئيسية. معنا بعض الذين قبضنا عليهم. هناك أعدادٌ أخرى داخل القصر.

تقدَّم «أحمد» و«رشيد» حتى وقفا عند عمود رخامي ضخم ... قال «أحمد»: ينبغي أن نُضيء القصر، إننا في حاجةٍ إلى وضوح الرؤية. ثم أرسل برسالة إلى الشياطين بهذا المعنى. لحظة، ثم غرق القصر في الضوء.

لم يكن أحد ظاهرًا، فأطلق «أحمد» دفعة طلقات من الرَّصاص، تردَّد صوتها المكتوم داخلَ القصر، ثم تردَّدت أصواتُ طلقاتٍ أخرى ... عرَفَ «أحمد» مصدر الطلقات فقال: ينبغي أن نتجه إلى هذا الاتجاه.

تقدَّم الاثنان في حذرٍ، غير أنَّ مجموعة من الطلقات تطايرت حولهما، فانبطحا خلف أحد الأعمدة التي تزدحم بها القاعة، انبطحا خلفها مباشرة، فتردَّدت طلقاتٌ أخرى في اتجاههما تمامًا، إلَّا أنها اصطدمت بالعمود، وسمعا وقع أقدامٍ تقترب في حذرٍ. حدَّدا مكانها، وكانت تأتي من خلفهما، فزحفا إلى عمود آخر، ثم اختفيا خلفه، وظهر رجلٌ ضئيلُ الحجم، وحوله بعضُ الرجال الأشِدَّاء ... كان يتحدَّث بصوتٍ رفيعٍ كأنه الطفل. وقال: ماذا يحدث هنا؟ إنها مهزلةٌ!

بدأ الرجال يظهرون ... وقال واحد منهم: لقد فلت الزمام أيها الزعيم! نظر «أحمد» إلى «رشيد» الذي امتلأ وجهه بالدهشة، فصرخ الرجل بصوته الرفيع: أين «ويب»؟ أين «كاسيو»؟

أحد الرجال: لقد قُتلا يا سيدي.

الزعيم: قُتلا كيف؟ مَن قتلهما؟ لقد سلمت «ويب» الزعامة أثناء عمليتي الأخيرة في «سنغافورة»، من الذي جرؤ وقَتَله؟

الرجل: «باخ»!

صرخ الزعيم: «باخ»؟ أين هو؟

الرجل: قُتل هو الآخر أيها الزعيم!

كان الشياطين يستمعون إلى هذا الحوار، وهم لا يُصدِّقون ما يحدث ... تقدَّم الزعيم في خُطًى عصبيةٍ وهو يقول: هذه أول مرة يُخطئ فيها «جيم» زعيم عصابة «الحزام الأسود»، لقد تصوَّرتُ أنني قد ضيَّعتُ عداوتهم القديمة! اجمعوا لي الرجال.

أخذ طريقه إلى القاعة الرئيسية، ثم اختفى داخلها. فجأة ظهر «ويب»، فتسمَّر أعضاء العصابة، الذين كانوا موجودين في هذه اللحظة. تقدَّم «ويب» إلى القاعة الرئيسية ثم دخل، وفي نفس اللحظة تقدَّم «رشيد» و«أحمد» إلى نفس الاتجاه، وكان الموقف هادئًا تمامًا. اتَّجه إلى باب القاعة، وشاهد «جيم» يجلس على المقعد الضخم وعلى وجهه علامات الدهشة.

قال «جيم»: «ويب»! لقد قالوا إنك قُتلت!

ويب: ليس بعد أيها الزعيم «جيم».

ظهرت ابتسامة على وجه «جيم»، وأخذت تتسع، حتى تحوَّلت إلى ضحكةٍ رفيعةٍ طويلة ... قال في نهايتها: إذن ... إن «جيم» لا يُخطئ أبدًا!

لمح الشياطين حركةً رقيقةً خلف ستائر القاعة، فعرَفا أنَّ بقية المجموعة قد اختفت خلف الستائر، ونظر «جيم» إلى «أحمد» و«رشيد» اللذين كانا يقفان عند الباب ... وسأل: من هذين؟ نظر «ويب» إليهما، ثم قال: السيد «براكان» ... عضو عصابة «القصر الطائر» جاء يطلب مساعدتنا في عمليةٍ كبيرة.

هزَّ «جيم» رأسه، ثم قال: لا بأس ... والآخر؟

ويب: إنه زميلٌ انضمَّ إلينا مؤخَّرًا.

انحنى «ويب» على أذن «جيم»، فرفع «جيم» يده يطلب من الحُرَّاس الانصراف، فخرج الحُرَّاس وأخذوا يتفرَّقون من القاعة ... أشار «ويب» إلى «أحمد» و«رشيد»، وقال: تقدَّما؛ إننا في حاجةٍ إلى مناقشة عملية السيد «براكان»!

تقدَّم الاثنان في هدوءٍ حتى اقتربا، وعندما جلسا بجوار «جيم» و«ويب»، قال «جيم»: هل ناقشتهما في العملية؟

ويب: إن الأحداث الأخيرة لم تُعطني الفرصة لذلك! لكننا نستطيع أن نناقشها الآن.

هزَّ «جيم» رأسه، واستغرق في التفكير بعضَ الوقت ... في نفس اللحظة، كان عددٌ كبيرٌ من أعضاء العصابة قد وصل، وبدأ الأعضاء يدخلون القاعة، وهمس «ويب» في أذن «جيم»: ينبغي أن ينتظروا قليلًا في القاعة الأخرى، لقد تأخَّر الوقت بالسيد «براكان».

أصدر «جيم» أمره بالانتظار في القاعة الأخرى، عندما انسحب الرجال ... ضغط «جيم» على زرٍّ بجواره، فأُغلقت الأبواب، وخفت الضوء، ونظر إلى «أحمد» وقال: حتى لا يرصدنا أحدٌ ... ولا يسمع ماذا نقول.

لم يكد ينتهي «جيم» من كلامه، حتى كانت يد «ويب» قد طارت في الهواء، وضربته ضربةً قاتلةً، جعلته يهتزُّ في كرسيِّه، ثم عاجله بلكمةٍ قويةٍ، جعلت الدماء تسيل من فمه ... وكانت هذه فرصة لينفِّذ الشياطين الخطة «م. ق» ... أسرع «رشيد» في حركةٍ عنيفةٍ ... ثم ضرب «ويب»، إلَّا أنه استطاع أن يتفادى الضربة ... وهو يقول: إنني «باسم»! وخلع القناع الذي يلبسه، فظهر «باسم» ... أسرع «رشيد» فأوثق «جيم» ونقلوه إلى خلف الستائر، فخرج الشياطين، وقال «باسم»: سوف أشرح لكم فيما بعد. ثم لبس القناع مرةً أخرى وقال: سوف أحضُر اجتماعَ القاعة الثانية.

أرسلوا رسالة إلى رقم «صفر» للتصرُّف، وبينما أسرع «باسم» إلى القاعة كانت الرسالة تأخذ طريقها إلى رقم «صفر».

دخل «باسم» القاعة وهو يلبس قناع «ويب» ثم قال بصوت هادئ: سوف نتحدَّث حتى ينتهيَ الزعيم من الاتفاق مع السيد «براكان»، ثم ينضمُّ إلينا.

بدأ أفراد العصابة يتحدَّثون فيما حدث لـ «كاسيو» و«باخ»، ثم فجأة فُتح باب القاعة وظهر رجال الشرطة الدوليُّون، وتقدَّم قائد الشرطة من «باسم» وحيَّاه، فخلع «باسم» القناع، ثم وقف يُحيِّي الأعضاء: تحيتي إليكم أيها السادة، إنَّ الزعيم «جيم» في السجن الآن.

عندما انتهى «باسم» من كلماته وأخذ طريقه إلى الخروج، كان الشياطين يقفون عند باب القاعة، فتقدَّموا جميعًا، وكان المطر قد توقَّف.

وعندما ركبوا السيارة، شرح لهم «باسم» خطة رقم «صفر» بعد أن وصلته كلُّ المعلومات عن طريق العملاء. أمَّا الخطة رقم «م. ق» فهي خطة «مذبحة القلعة»، تلك التي نفَّذها «محمد علي» مع المماليك.

كان الليل يُخيِّم على كلِّ شيءٍ، بينما السيَّارة تأخذ طريقها إلى «برن» حيث يستريح الشياطين الليلة في مقرِّهم السري، في انتظار مغامرة أخرى ...

هنـــداوي